

من سنن الله في الأمم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
أحمده - سبحانه وأشكره ومن مساوئ عملي أستغفره - وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين
وقائد الغر المحجلين، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد،
وعلى آله وصحبه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم
الدين.

أما بعد أيها المسلمون: بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين مبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أرسله
﴿بالمهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾. أرسله
الله في أمة قد خلت من قبلها أمة، ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت
من قبلها أمة لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾.

فكان آخر المرسلين، وخاتم النبيين وهناك أمة خلت قبل هذه الأمة لا
يعلم عددها إلا الله ﴿ألم يأتيكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات

فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴿١٠﴾.

ولله في الأمم سنن: وسنن الله في الأمم لا تتبدل ولا تتغير ﴿١١﴾ فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴿١٢﴾.

ومن عرف سنن الله في الأمم اطمأن، ومن عرف سنن الله في الأمم اهتدى: سنن الله في الأمم كثيرة ومن سنن الله في الأمم أنه جعل العاقبة للمتقين، وجعل النصر للمؤمنين ﴿١٣﴾ إنا لنصر رسلاً والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴿١٤﴾.

ومن سنن الله في الأمم أنه جعل طريق الإيمان محفوظاً بالملكاه والشدائد والمحن.

ومن سنن الله في الأمم أنه جعل دخول الجنة يعبر على عقبة من البلاء كؤود.

ومن سنن الله في الأمم أنه جعل النصر مقروناً بالصبر، وأن الفرج ينبثق من أعماق البلاء.

ومن سنن الله في الأمم أنه جعل عاقبة الكافرين إلى بوار. ونهايتهم إلى دمار، ومردهم في الآخرة إلى النار: تلك سنن الله في الأمم ومن قرأ القرآن وعى ومن تدبر القرآن أدرك ﴿١٥﴾ وكلا نقص عليك من أنباء

الرسول ما ثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين* وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون* وانتظروا إنا منتظرون*.

انتظروا ما يحل بنا، فإننا منتظرون ما يحل بكم فوعد الله حق، وسنته في الأمم لن تتبدل، ومن تأمل حال الأمم وما حل بها علم ﴿ألم يأتيهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

سنن الله في الأمم ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.

سنن الله في الأمم من لدن نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم سنن قائمة لم تتغير وستضل هذه السنن تتجدد في الأمة إلى قيام الساعة.

يحل الأذى بالمؤمنين حيناً ويقسو، ويشتد ويعظم. وهو ابتلاء يميز الله به الخبيث من الطيب، والمنافق من المؤمن، والكاذب من الصادق. يجثم البلاء في الأمة فترة من الزمن تزلزل فيه القلوب، وتمتحن فيه النفوس، وتختبر فيه الضمائر.

يجثم البلاء في الأمة حيناً ثم تنقشع غمامته وينجلي ليله، وتشرق شمس النصر بعد طول مغيب. وعند الصباح يحمد القوم السرى.

سنن الله في الأمم لن تتغير، ونهاية الظالم مؤلمة، وعاقبته موجعة. ونهاية المظلوم تأييد ونصر ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين* ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾.

أباد الله أمم الظلم بعدما علا سلطانها، واشتدت قبضتها، وامتد غرورها وظنت أن لا قاهر ولا مذل لها ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجحون* فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾.

سنن الله في الأمم لن تتغير فما من نبي إلا ناله من قومه الأذى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ وأتباع المرسلين في طريق الابتلاء يمحسون، فترفع لهم الدرجات، ويتخذ منهم شهداء، وتكون العاقبة في الدارين لهم ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك

الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون*.

سنن الله في الأمم لن تتغير وواقعة الأحزاب خلد القرآن ذكرها يا
أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا* إذ جاءوكم من
فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا* هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا*.

زلزال من البلاء امتاز به الطيب، وارتكس فيه الخبيث، وظهرت
حقائق ما تضره النفوس في أعماقها* وإذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا*.

*ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما*.

سنن الله في الأمم لن تتغير* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين*.

قال خباب رضي الله عنه: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردة، وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا
رسول الله، ألا تدعو الله لنا، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: لقد كان

من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه. رواه البخاري. وفي رواية قال: (ولكنكم تستعجلون).

قال تعالى: ﴿وَكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾.

*** **

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا رسول رب العالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليما.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله لعلكم ترحمون.

أيها المسلمون: إن نوازل البلاء التي تحل بالأمة ستنجلي يوما وتزول. وبعد انجلائها تتجلى ثمارها. وما أدرك أهل البلاء عاقبة أكرم من عاقبة الصبر ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾.

والصبر على البلاء لا يعني الوهن أمام صلف العدو، ولا الخنوع ولا المهانة، وإنما الصبر تحمل للأذى في سبيل الله، وبذل للجهد في مقارعة

العدو، وثبات على المبدأ حتى بلوغ الغاية، وغاية المؤمن إما نصر ترفع به للتوحيد راية، وإما شهادة، وتلك أكرم نهاية ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾. نصر أو شهادة ﴿ونحن نترص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون﴾.

وفي نوازل البلاء يجب على المسلم أن يدرك حقا، وأن يفقه صدقا أن هذه الحياة مرحلة تعقبها حياة أخرى. وأن خصام الناس فيما بينهم في هذه الحياة سيعرض غدا أمام الله في محكمة كبرى ﴿إنك ميت وإنتهم ميتون﴾* ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿.

موت المظلوم مقهورا ليس ضياعا لحقه، وإنما تأجيل لإنصافه وإمهال الظالم ممتعا مسرورا ليس إغفالا لأمره. وإنما إملأء له ليزداد في الدنيا إثما ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾.

وفي نوازل البلاء والمرء يرى طغيان الكفر يعلو في كل صقع، ويرى ظلمه يسري في كل شعب، ويرى فواجع القتل والتنكيل والدمار في بلاد المسلمين.

قد يتساءل المرء: أليس الله بقادر على محق الكافرين ونصر المؤمنين؟ فلم لا يعجل لهم نصره؟! تساؤل أوضح القرآن جوابه، وبين لنا أسبابه،

فقال الله سبحانه ﴿ذَلِكَ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

بلاء يعقبه ثواب لمن آمن وجاهد وصبر، ويعقبه عقاب لمن تجبر وطغى وكفر فيتساءل المرء أخرى: فما بال من قتل في البلاء ظلماً؟! فيجيب القرآن جواباً ينطفئ به الألم، وينجلي به القلق. فقال الله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سِيهِدِيهِمْ وَيُصَلِّحَ بِهِمُ* وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ*﴾.

إنه كتاب رب العالمين به يزول الهم، وينجلي الغم، وبه تُشفى وساوس الصدور ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي نوازل البلاء للمؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم اقتداء وأخذ بالأسباب، وصبر في المصاب، واعتماد وتوكل على الله رب الأرباب، وفزع إليه بطلب العون والنصر والمدد، ولاء للمؤمنين، وبراءة من الكافرين، ودعاء للمقهورين المستضعفين.

فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: **(اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف).** رواه البخاري.

وَمَنْ عَظَّمَ اللَّهَ افْتَقَرَ إِلَيْهِ وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ اتَّجَأَ إِلَيْهِ، وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ فَرَعَ فِي الشَّدَائِدِ إِلَيْهِ.

اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللهم انصر ضعفهم ورد إلينا المسجد الأقصى ردًا جميلاً، اللهم احفظ إخواننا في غزة والقدس بعينك التي لا تنام، وارزقهم الثبات والتمكين وبارك في إيمانهم وصبرهم، اللهم إنهم جوعى فأطعمهم، وخائفون فأمنهم، اللهم إنهم مكسورون فاجبر كسرهم، اللهم ارحم ضعفهم، وآمن روعهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا قوي يا عزيز، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم أعداءنا يا رب العالمين. اللهم طهر المسجد الأقصى من رجس اليهود. اللهم عليك باليهود الصهاينة الغاصبين إخوان القردة والخنازير فقد بغوا وتجبروا واستباحوا الحرمات في فلسطين ودمروا المستشفيات وقتلوا العجزة والأطفال. اللهم عليك بهم وأعوانهم فإنهم لا يعجزونك وأرنا فيهم عجائب قدرتك يا كريم يا عليم يا عظيم.

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَدْمِ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ. اللهم رد كيد الكائدين وحسد الحاسدين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، ووُلاة أمورنا، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا، وهَيِّئْ لَهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَى الْخَيْرِ. اللهم وفقه لما

ترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب
إليها من قول وعمل.